هيلعلا وه

«مكّودع مع لا مكعم مكعم»

ةديقعلا تاباثو ةيلاولا ةقيقحىلإ لخدم

٩٦٦ مقر - ةيدرفلا تاراضاحملا - ملاسلإا يناب

اهاقلا ةرضاحم
يناهرلا ّيئيسحلا نسحم دّمحم دّيسلا جاحلا الله ةيآ
ةّرسم الله سدق

بِسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ
أعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ أجمَعينَ

الولاية هي شرف الإنسان بل كلّ العالم الوجود

عَمَّ لا مُكَعَّمَفَ: قراءة العاجلة الزيارة في خاصّةً ،السلام عليهم الأئمّة زيارات في أقرأ ،معكم لا ،معكم وكيلٌ معكم وكيلٌ الذي أنّ العناية هذه قرأت فقط الذي ما[1] **«مُكَوِّدَعَ مُكَرِيَغَعَمَ لا عَمَ لا مُكَعَمَ مُكَعَمَفَ»**.

طريق الولاية هي الطريق الوحيد لتحقيق الكمال الإنساني، وهو الهدف الأسمى الذي ترجع إليه أساسها الأنبياء والرسل، وهو الذي يسعى الله، وقد أمر به الأولياء والأوصياء؛ أي تحرّك في اتجاه تحقيق الإنسان الكامل، وهو الذي يتّصف بالصفات الإلهية، ويتجلّى فيه الأسماء والصفات الربوبية، وهو الذي يعكس الجمال والجلال الإلهي، وهو الذي يتحرّك في اتجاه تحقيق الخلافة الإلهية؛ أي يسير في طريق الولاية؛ أي يسير الإمام المعصوم عليه السلام، بحيث يمكنه الاقتداء به في جميع مراحل حياته، تمامًا كما يقتدي الطفل بوالده في جميع تحرّكاته.

أ فلا نُؤمن نحن بأنفسنا؟ إنّنا نُؤمن بأنفسنا، وإلاّ، لما تأثّرنا ولما تحرّكت فينا شعرة واحدة فيما لو أهاننا أحدٌ؛ لأنّه سيكون حينئذ قد أهاننا وانتهى الأمر! لكنّك تجدنا نغضب، ونقطّب جباهنا قائلين: «ماذا يقول هذا الوقح؟! ألا يخجل؟! إنّه لا يفهم ما يخرج من فمه!»؛ وبالتالي، يتّضح أنّنا نُؤمن بأنفسنا. أمّا لو قيل هذا الكلام لغيرنا، فإنّنا لا نبالي؛ كأن نرى في الشارع أحدًا يسبّ آخر ويشتمه، فنمرّ بجانبه دون أن نُعيره أيّ اهتمام. لماذا؟ لأنّنا لا نُؤمن به، ولا نُؤمن بالآخرين، ولا نفسح لهم مجالاً للولوج إلى داخل أنفسنا؛ ولذلك، تجدنا غير مبالين بما يحدث لهم من مسائل. وحتّى إذا بالغنا في إظهار المروءة، وكان الاعتداء يتجاوز الحدّ، فقد يتحرّك فينا عرق الإنسانيّة أو العطف أو الرحمة ـ أو أيّ شيءٍ كان ـ فنذهب إليه قائلين: « ماذا تفعل يا هذا؟ ففي جميع الأحوال، هناك حساب وكتاب؛ فما معنى هذا؟ وماذا تفعل؟». فقد ترى أحدًا يضرب طفلاً، فتقوم، وتعترض عليه. ولكن، لو أراد أحدٌ أن يعتدي على طفلك أنت، فهل ستنظر إليه هكذا فحسب؟ أم أنّ الحساب هنا سيختلف؟! أو أن يريد أحدٌ الاعتداء عليك أنت، سواء كان اعتداءً جسديًّا أم اعتداءً على الشخصيّة والسمعة؟! كأن يريد تشويه سمعتك في مجلّةٍ أو صحيفةٍ أو ـ لنفترض ـ أن ينتهك مكانتك وحرمتك! فهنا، ستقول: «مَن هذا؟ وما هذا؟ فلأنهض، وأردَّ عليه!». ولا يهمّنا الآن إن كان ما قاله صحيحًا ـ ربّما كان صحيحًا ـ ولكنّك ستقول: «لا يهمّ إن كان ما ذكره صحيحًا، لكنّه أخطأ بقوله ذلك ولو

[1] **(مُكَوِّدَعَ مُكَرِيَغَعَمَ لا عَمَ لا مُكَعَمَ مُكَعَمَفَ**: قريبًا قراءة العاجلة الزيارة من مقطع

كان صحيحًا؛ إذ لا يجب عليه في الأساس أن يستخفّ بي، ولا ينبغي عليه أن يوجّه إليَّ الإهانة». لماذا؟ لأنّنا نعتقد بوجودنا، ونُؤمن ببقائنا.

لو كنّا نُؤمن بإمامَنا كما نُؤمن بأنفسنا... هذا، مع أنّ الإمام هو شرف عالم الوجود، والإنسان يغار على شرفه، بحيث لو جاء أحدهم وقال مثلاً: «يا سيّدي، إنّ زوجتك قالت كذا وكذا، وارتكبت خطيئةً»، لاحمرّ وجهك، وتورّد، وثارت ثائرتك، واعترضت عليه قائلًا: «ماذا تعني؟! اخجل! ما هذا الكلام الذي تقوله...؟!». أمّا لو قال لك: «يا سيّدي، فلانٌ فعل كذا بامرأةٍ في مدينةٍ ما!»، لقلت له: «حسنًا، فليفعل وليقُل ما يحلو له، وما شأننا نحن بذلك، ولماذا نأتي الآن ونُفسِد مزاجنا ونُعكِّر دمنا؟! ولماذا نهتمّ لحال عبدٍ من عباد الله لا يهتمّ لحالنا بتاتًا؟!». فما هو سبب هذا الأمر؟ سببه أنّه ليس في داخلنا، ولا توجد شخصيّته في باطننا، ولا يُعدّ شرفًا بالنسبة إلينا، بل يُعدّ شرفًا بالنسبة إلى غيرنا؛ ولهذا، تجدنا نقول: «لتذهب هي وتدافع عن نفسها، ليذهب زوجها ويدافع عنها، ليذهب ابنها ويدافع عنها؛ وإذا قيل كلامٌ في حقّها، فلتذهب وتدافع عن نفسها؛ إذ ما علاقتي أنا بذلك؟! فلتأتِ وتفعل هذا الأمر!».

إنّ الإمام عليه السلام ومنهجه هو شرف الإنسان؛ أي إنّ حقيقة ولايته هي أهمّ حقيقة يُمكننا تخيّلها، وأكثرها حساسيّةً وإيمانًا واعتقادًا ويقينًا. حسنًا، ما معنى ذلك؟ يعني: لو دار الأمر بين أن يتُحدّث عن الإنسان بسوء، أو يُتحدّث عن الإمام بسوء، فماذا يجب على المرء أن يقول؟ عليه أن يقول: «لماذا يُتحدّث عن الإمام بسوء؟! فليُتحدّث عنّي أنا بسوء». ولو دار الأمر بين أن يُعتدى على الإنسان أو يُعتدى على الإمام، فيجب أن يُعتدى علينا نحن.

مكحلا نّإف ،رطخي فمامإلا ةايحت ناك اذإ :يعن ؛بجاو ملاسلا هيلع مامإلا نع عافدلا فعيمجي فءرملا ىلع بجي ذإ ؛لَتقُيل فأنسحـ لِتُق ولو هذه نع اسنإلا عفادي نأ بوجو وهّيهقفلا نم لضفأ وه ام دجويل ه ،ذئنيحو ؛ام ةقيرطبو ،امٍ وحنب ايندلا هذه نع لحري نأ لاوحلأا هذه نع لحري ارمع نا سنإلا ربصد قل ،أنسحـ !هينيع روذ ؟ىمعلأا ىّنمتي اذام :لاقي !؟كلذ نأ نا سنإلا ىلع ،رطخي فن لآا مامإلا ةايحف !الله ةكرب ىلع لّضفتف ،الله يضريٍ وحنب ايندلا سّيأب اهيف مقدم ولو ،ةيداعلا أسم ي هلب ،ددّرتّي أ رملأا ي فدجوي نأ نود نم ،هسفنب يّحضُي ي فاذهو ،نا سنإلا ىلع نولضفتيس مهّنأ ىقبي ،لجأ .دجم أيّس اهيف مقدم نصع ،لو ،لاب ذي عيش انمق دقن وكنل انّنكلو ،ةّلحم سيلأ ؟اهنبلا ءادف اهسفنب يّحضُتّم لأا تسيلأ .لاب ذي عيش انمق دقن وكنل انّنكلو ،ةّلحم وه لب ،لاب ذي ارمأ دعُي لا اذهو !؟هقوشعملا ءادف هسفنب يّحضُي أدحأ ق شعي ذلا صخشلا اياضقلا هذه لكو ،ثدحت ي تلا تارا حتنلا هذه لكو ،عقت ي تلا لئاسملا هذه لكف .ي داع رمأ ي فانعضُو دقن لآا نوكنا نّأ نيح ي ف...هذه أنسحـ ،اهدهاشن ي تلا رومألا هذه ب بسب عقت ي تلا ؟متهبتنا لهـ !ةيحضتلا ّق حتسي فقوم

اذه ىلع ةّنإف ،نا سنإلا ةّيصخشةناهإ نيب رودي رمألا نا كاذإف نأ نا سنإلا ىلع بجي ف ،ءادتعا لصحي نأ ضورفملا نم نا كاذإو .كلذ لّمحتي نأ نا سنإلا

يأخذه على عاتقه؛ إذ كلّما يملكه وما لا يملكه هو مِلكٌ مُطلقٌ للإمام عليه السلام، والإنسان صفرُ اليدين؛ فلا يجب أن يكون في يده شيءٌ؛ بل يجب أن يكون الإمام هو كلّ شيءٍ بالنسبة إليه؛ هذا، مع أنّ ذلك لا يُمثّل إلاّ بداية الطريق. أجل، يبقى أنّه قد يندرج بنا الكلام هنا للحديث

عن أمورٍ دقيقة، كما أنّ هناك مسائل أخرى أيضًا ينبغي بحثها في محلّها! هل انتبهتم؟

السير على نهج الإمام هو الضمان للثبات في الطريق

ولهذا، عندما يضع الإنسان نفسه في طريق الإمام، فإنّه سيُطبّق ـ بنحو تلقائيّ ـ كلّ ما يشعر أنّه ضروريٌّ لترسيخ موقفه؛ ففي نهاية المطاف، تعرض الإنسان أحوال مختلفة، ويكون في حالة ازدياد أو نقصان، ويكون له [موقف خاصّ] تجاه مختلف الأشخاص؛ ولهذا، فإنّ الصديق الذي تراه كلّ يوم تتعلّق به بنوع خاصّ من التعلّق، والصديق الذي تراه مرّةً واحدة في الشهر تتعلّق به بنوع آخر من التعلّق؛ وهكذا بالنسبة للذي تراه مرّةً واحدة في السنة. وأمّا الذي لا تراه ولو مرّةً في السنة، فلن تبالي به؛ إذ يكفي أن تراه في الشارع، وتقول له: «السلام عليكم، ما شاء الله.. أين أنت؟ كيف حالك؟ مرّت فترة دون أن أراك»، أجل، أنا أيضًا لم أرك منذ مدّة طويلة! فينتهي الأمر ويذهب إلى حال سبيله؛ فيذهب هو من هذا الجانب، ويذهب ذاك من ذلك الجانب. فيمضي عامٌ آخر، ثمّ عامٌ آخر! حسنًا، فهذا أيضًا نوعٌ من المحبّة، حيث نرى وجود اختلاف بين كلّ هذه الدرجات [من المحبّة].

لكن، كيف يجب أن تكون درجة [علاقتنا] بالإمام؟ وهل تكفينا رؤيته مرّة واحدة في السنة؟ ماذا؟ فتسعةٌ وتسعون بالمائة أنّهم بهذا النحو؛ أي أنّ شأن علاقتنا تجاه عليه السلام شأن تلك المرّة في السنة؛ إذ يكفي أن نرى الإمام، ونقول: «ما شاء الله، يا رسول الله، أيّها الإمام الحسين، أيّها الإمام السجّاد، كيف حالكم؟ كيف حال أولادكم؟ - لا أدري - الأولاد بخير...؟!» فنتحدّث معه بهذا الكلام، ثمّ نودّعه قائلين: «ادعوا لنا أن يختم الله - إن شاء تعالى - أمورنا بالخير» وانتهى الأمر.. صدّقوني!

أجل، قد يبدو في كلامي الآن نوع من المُزاح، لكن، قد يتوصّل الإنسان إلى هذه الأمور عندما يُقيّم نفسه، فيهتزّ قليلًا، ويتساءل: ما القصّة حقًّا؟! وما الذي تحدث - بحقّ - ليلة عاشوراء، حتّى لأجل الذين جاؤوا مع الإمام الحسين عليه السلام من مكّة إلى كربلاء إلى التخلّي عنه، ورحلوا؟ أم أنّ الأمر لم يكن بهذا النحو؟ ألم يكن هؤلاء هم الذين كانوا يُصلّون خلف الإمام الحسين عليه السلام طوال ذلك الطريق؟ ألم يكونوا هم بأنفسهم؟ أقسم بالله أنّهم كانوا يُصلّون جماعةً، ولربّما لم يكونوا يتركون ثلاثة أو خمسة أوقات منها؛ أو إذا تُرِكت، فثلاثةٌ منها كانت موجودة، أو اثنتان كانتا موجودتين. فكانوا يُصلّون جماعةً، ويستمعون إلى كلام الإمام الحسين عليه السلام، ويُشاهدون جميع الخُطب التي كان يُلقيها.

كربلاء بين دعوى الصدق وحقيقة الثبات

لقد انقضت آلاف السنين على تلك الحادثة، ولكنّهم كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام هذا الذي نلطم الصدور عليه السلام. أجل يا عزيزي، فقد كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام هذا الذي نلطم الصدور لأجله، ونضرب الناس في سبيله رؤوسَهم بالقامات فيسيل منها الدم، فسار وا معه مرحلةً بمرحلة، ومنزلاً بمنزل، حتّى وصلوا إلى كربلاء؛ لكن، ماذا أُضيف إليهم في مجيئهم هذا؟! وما الذي اكتسبوه في تلك الخطوات التي خطوها، وذلك اللقاء الذي تمّ مع الحُرّ بن يزيد؟ فما هو المقدار الذي كان يُضاف إليهم؟ صفر! إذا كانوا يتقدّمون بأجسادهم مع الإمام الحسين عليه السلام بحسب.. هذا كلّ شيء! فلم يكن يزيد فيهم أيّ شيء.

بما أنّه لم يُضَف إليهم أيّ شيء، فإنّهم حينما جاؤوا، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام وضعهم ليلة عاشوراء أمام الأمر الواقع: يا أعزّائي! إذا كنتم تعدّونني ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكنتم تعتقدون أنّ كلامي صحيحٌ وحقٌّ، فاعلموا أنّ كلّ من يبقى هنا سيُقتَل غداً، وهيّئوا كلّ حكّام الكوفة والمدينة، والسيطرة على هذه المحافظة تلك، وعلى منطقة الجزيرة العربيّة والشرق الأوسط، وماذا أقول؟ كم قارّةً في الدنيا؟! فكلّ من يظلّ هنا سيُقتَل غداً!

فتوصّل الناس إلى حقيقة من الحقائق، وما كانت تلك الحقيقة؟ كانت عبارة عن أنفسهم، حيث أزاح الإمام الحسين عليه السلام الستائر، فتنحّت جميع الخيارات جانباً، وبدأت الحقيقة تقترب، ولم يعد الأمر مُزحةً، بل صارت المسألة جادّةً. فإلى الآن، كنّا نخال أنّنا سنذهب، ونتسلّى على الكوفة، وبعد ذلك، نُهاجم، ونستولي على الشام، ثمّ نُسقط يزيد، ونذهب، ونستولي على الكوفة، وبعد ذلك، نُهاجم، ونستولي على الشام، ثمّ نُسقط يزيد، ونذهب، ونستولي على اليمن، ثمّ نستمرّ في الاستيلاء على مختلف المناطق فتحها شيئاً فشيئاً. ما الخبر؟ لقد سيطرنا على كلّ شيء.. حسناً، وماذا بعد ذلك؟ وماذا عنك أنت أيّها المسكين؟ لقد سيطرت على كلّ مكانٍ، لكن، ماذا عنك أنت؟ فمَن الذي سيأتي ليستولي عليك؟

ففي تلك الليلة، جاء الإمام عليه السلام وأزاح هذه الستائر. فوقعة عاشوراء ليست واقعةً خياليّةً أو وهميّةً؛ فلا أحد للوقائع التي تحدث في الدنيا، وتكون بأجمعها قائمةً على أساس الاختيار والتوهّم: نأخذ هذا، ونُغلق ذاك، ولنرفع هذا، وننزل ذاك، ولنضرب رأس هذا... وهي الخيارات وأوامر واهية بأسرها. ففي عاشوراء، لم يُعد هناك خيار، ولا حكم للتوهّم الاختيار. فالوقائع تتمثّل في عاشوراء؛ فهل أنت مستعدٌّ لتحمّل المسؤوليّة أم لا؟! ولا مزاح في الأمر؛ هل أنت داخل هذه الخيمة أم لا؟ وذلك الصدق الذي كنت تدّعيه حتّى الآن يجب أن تُظهره غداً؛ فهل أنت صادق أم تتظاهر بالقطع.. وماذا؟ أيّها أنت؟

ففي تلك الليلة، جاء الإمام عليه السلام، ونحّى كلّ ذلك جانبًا، وقال: أنتم تعلمون أنّني صادق، فأنا إمام، وأنا صادق، وأنا ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله، فانظروا، فإنّ الكلام الذي قلته حتّى الآن كان صحيحًا، وقد أخبرتكم عن الغيب أيضًا، وأريتكم بعض الإشارات، حيث بيّنت لكم في هذا الطريق أشياء كثيرة، وأريتكم ومضات، وأنتم تعلمون أنّ كلامي ليس بالهزل؛ فانظروا إلى هذه الجموع التي تقف أمامكم ويبلغ عددها ثلاثون ألفًا، وانظروا إلى أنفسكم أيضًا؛ فقد قال جدّي حينما رأيتُه في المنام ـ وسمّوها مكاشفةً أو علم غيبٍ أو أيًّا كان ـ: «كلّ من يبقى هنا سيُقتَل غدًا!». وبمجرّد أن قال الإمام عليه السلام هذا الكلام، حتّى بدأت الألوان تتغيّر فجأةً، حيث كان المصباح لا يزال مُضاءً! ما أعجبنا! فبأيّ أملٍ جئنا إلى هنا؟! ولأيّ شيءٍ جئنا لنُساعد؟! فقد كنّا نقول في أنفسنا: «لنذهب ونستولي على الكوفة، ومن هناك نذهب ونسيطر على الشام!»، لكنّ الإمام عليه السلام صبّ علينا الآن ماء اليأس.

فبعدما تنحّت الاعتباراتُ كلّها جانبًا، ظهرت هناك تلك الحقيقة التي كانت تُمثّل شرفهم وإيمانهم ويقينهم. وما كانت تلك الحقيقة؟ كانت عبارة عن أنفسهم؛ أي: أنا، لا هو، ولا الإمام الحسين، ولا مدرسته ولا طريقه عليه السلام، أجل! فقد قال الإمام عليه السلام: «حتّى الآن، كنتم تعدّونني أمرًا اعتباريًّا، وقد أرجعت إليكم هذا الأمر الاعتباريّ؛ فتأمّل في وجودك أنت، وانظر إلى ما هو الشيء الذي تُؤمن به؟». حسنًا، سيقول ذلك الشخص: «إنّني أؤمن بنفسي، ولا أريد أن أُقتَل؛ لأنّني أعتقد بنفسي!». وأمّا لو لم يكن يعتقد بنفسه لقال: «نُؤمن بك أنت، وإذا تطلّب الأمر أن نُقتَل، فلنُقتَل، ولو ألف مرّة». ألم يقل زهير: «لو قُتِلنا ألف مرّةٍ فلا يهمّ»؟ وذاك قال: «لو أحرقونا فلا يهمّ»؛ إذ لم يعُد هناك أيّ وجود للنفس، ولم يعد للذات وجود؛ فذاك هو الواقع، وعلى الإنسان ـ في نهاية المطاف ـ أن يعتقد بالواقع.

فقد أظهر الإمام عليه السلام واقع نفسه، وأزاح الستار، بحيث رأى كلّ شخصٍ مرتبته التي يتواجد بها؛ وهذا هو المراد من قولهم إنّ الناس قد رأوا منازلهم في تلك الليلة؛ فجاؤوا، ورأوا حقيقتهم التي كانوا مستقرّين عليها، سواءً كانوا من الأصحاب، أو غيرهم من الأفراد؛ لأنّ الأصحاب كانوا أنفسهم مختلفين؛ إذ كان لحبيب حساب خاصّ، ولحضرة أبي الفضل عليه السلام حساب خاصّ، ولحضرة عليّ الأكبر عليه السلام حساب خاصّ، ولعابس حساب خاصّ، وللحُرّ حساب خاصّ. حسنًا، فقد جاء الحُرّ في النهاية لكي [يُغيّر] المشهد، طبعًا، هو لم يأتِ لأجل العراك والقتل، بل جاء ليصدّ [الإمام عليه السلام]، ولكنّ قلبه كان نقيًّا وصافيًا؛ فجاء الإمام عليه السلام يوم عاشوراء، وأراه قلبه: أين أنت؟ هذا هو قلبك، فلماذا أنت في الجانب الآخر؟ وبما أنّ قلبك هو بهذا النحو، فلماذا تقف هناك؟ وبما أنّك تمتلك هذه الحريّة، لأنّك سُمّيتَ حُرًّا: «أنتَ حُرٌّ كَمَا سَمَّتكَ أُمُّكَ»، وبما أنّ أمّك سمّتك حُرًّا، فهل يليق بك الآن أن تذهب، وتقف في جيش عمر بن سعد؟ وهل سيكون بوسعهم حينها أن يدعونك بالحرّ؟! فبدأ الإمام الحسين عليه السلام يُداعب قلبه بكلّ هذه الكلمات، فوقف يفكّر ويفكّر. فالإمام هو الذي أرسل الترددّات من هناك، ممّا يُسمّونه بجهاز التحكّم، ومن ذلك الجهاز للتحكّم عن بُعد، ومن تلك الخيمة التي تبعد عن هناك بمائة أو مائتي مترٍ أو أيّة مسافة أخرى، حيث كانت موجات ذلك الجهاز ستصل إلى هناك، وكانت بطاريّته تكفي للوصول، ومدى موجاته يبلغ مائة مترٍ بل وأكثر من مائة كيلومترٍ و... فبدأ الإمام يُداعب [فكره]: اسمك الحرّ، وتقف في الجيش هنا؟! فبدأ الحرّ يقول في نفسه: «هذا الرجل يقول الحقّ ويتكلّم بالصواب، وهذا الرجل كلامه حقٌّ؛ فلماذا تقف أنت هنا؟ حسنًا، لا تُسمِّ نفسك حُرًّا بعد الآن؛ إذا كنت تقف هنا فلماذا تُسمّي نفسك حُرًّا؟!».

عدم كفاية الاقتصار على البكاء الظاهريّ على الإمام عليه السلام

لقد تحدّث والدنا خمسون عامًا إلى هؤلاء الناس، ليقول لنا ولأمثالنا: اعلموا أين تتواجدون، وتعرّفوا على منزلتكم، وميّزوا مكانتكم؛ فلا تبيعوا أنفسكم بثمنٍ بخس، ولا تبيعوا أنفسكم بسعر رخيص لهذا وذاك، ولا لهذا المجلس وذاك المجلس، ولا لهنا وهناك؛ فأنتم خُلقتم لمكانٍ آخر ومنزلة أخرى ومكانة أخرى! وحينئذ، ما الذي نفعله نحن؟ نقول: «حسنًا، لنذهب الآن، ونرى ما الخبر هنا! فهؤلاء أيضًا يقرؤون العزاء، وهم أُناسٌ طيّبون، ويعقدون أيضًا مجالس للتوسّل». يا عزيزي، لو كان الأمر يتوقّف على التوسّل، لشغلّت شريطًا صوتيًّا، فيتوسّل لأجلك حتّى الصباح.

كنتُ حاضرًا في ذلك المجلس الذي تحدّث فيه [المرحوم العلّامة] مع الحاج هادي رحمة الله تعالى عليه محذّرًا إيّاه، وكان يبلغ عمري آنذاك اثني عشر عامًا، حيث عُقد بعد الظهر في منزل الأحمديّة بطهران، وكان مجلسًا عجيبًا جدًّا، فكان المرحوم الحاج هادي يبكي وكذا. وفجأةً شرع المرحوم العلّامة في القول ـ وكان السيّد الحدّاد جالسًا في الجانب الآخر عند الباب ـ: يا حاج هادي، ما كلّ هذا البكاء؟! هل تظنّ أنّ هذا البكاء سينفعك؟ لقد تركتَ الأصل، وجئتَ لتمسك بالظاهر. سيأتي يومٌ يقف فيه أمامك نفسُ الشخص الذي تبكي من أجله، ويقول لك في يوم القيامة: لماذا لم تعمل بما تيقّنتَ به؟ ولماذا لم تتبع الحقيقة؟ ولماذا لم تبحث عن الواقع، وأعطيتَ اعتبارًا لكلام هذا وذاك ولتخيّلات وتسويلات وتوهّمات هذا وذاك؟» فغادر [الحاج هادي] المكان. وبعد ذلك، قال السيّد الحدّاد: **يا سيّد محمّد حسين! من أين أتيتَ بهذا الكلام؟ ومن أين صدر؟ فهو لم يكن كلامك!»**

إنّه يبكي، بل ويبكي على الإمام الحسين عليه السلام، ولكنّه ـ للأسف ـ لا يُنفق هذا البكاء في سبيله. فمن هذا الجانب، يبكي على الإمام الحسين عليه السلام، ومن الجانب الآخر، يذهب إلى المجالس الأخرى، فيُشارك في مجلس فلانٍ وفلان. فلماذا تذهب أنت أيضًا إلى مجلس فلان، مع أنّه مجلسٌ مُخالِفٌ لرضا الإمام الحسين عليه السلام ورضا الولاية ورضا إمام العصر.. الإمام المعصوم والحيّ!؟ فلماذا تذهب إلى هناك؟ ولماذا تُشارك هناك كقوّةٍ مؤثّرة؟ ولماذا يتسبّب هذا نفسه في تثبيتهم على طريقهم الباطل، واعتبار موقفهم موقفًا راسخًا ومُستقِرًّا؟

فأنت الذي تسبّبتَ بحصول هذا الأمر عن طريق بكائك، وسيتحوّل نفس هذا البكاء الذي تبكيه على الإمام الحسين عليه السلام يوم القيامة إلى سدٍّ يقف أمامك، ويمنعك من المسير نحو الجنّة؛ إذ ينبغي أن يخضع هذا البكاء إلى الحساب، ويجب أن يصل البكاء الذي يكون للإمام الحسين عليه السلام في مجلس يكون أيضًا مجلسًا للإمام الحسين عليه السلام، لا مجلسًا ليزيد. فاذهب أنت ـ والحال هذه ـ إلى مجلس يزيد، ثمّ ابكِ على الإمام الحسين عليه

السلام! أي مجلسٍ هذا؟! واذهب إلى مجلس هارون، ثمّ ابكِ على موسى بن جعفر عليه السلام! واذهب إلى مجلس المأمون، وابكِ على الإمام الرضا عليه السلام! تبًّا لكِ ولبكائكِ هذا! فلا حاجة بتاتًا لأن تحضري مجالس، فلماذا تعقدين مجلسكِ في المجلس، كي تجلسي وتبكي على الإمام الرضا عليه السلام؟! لقد تركتِ الأصل، ثمّ طفقتِ تستعيني بحزن البكاء؟ الآن تبكي على الإمام الرضا عليه السلام؟! لقد تركتِ الأصل، ثمّ طفقتِ تستعيني بحزن البكاء؟ مع أنّ هذا البكاء يُجيده الجميع، بل تحتّى ولو بأتت ميتة، فإنّها ستبكي لكِ؛ فالبكاء ليس بشيء، ولو شرّقتِ وغرّبتِ لا يُعدّ من الصبر أمام عينيكِ، لبكيتِ بكاءً مُتكِئة على ولدها! لكن ما فائدة ذلك؟ وما فائدة هذه الدموع؟! وما فائدة هذا الظهار؟! وأيّة معونة أسداها؟! وأيّة مساعدة قدّمها؟!

حقيقة الزيارة ومعانيها العميقة: تجاوز الظاهر إلى الباطن

اليوم صباحًا، كنتُ أقرأ رواية للمُحدِّث، وهي منقولة عن موسى بن جعفر عليه السلام؛ بالمناسبة، فقد رأيتُها مكتوبة عند الباب عند دخولي للحرم بالأمس، حيث جاء فيها: «مَن زارَ قبرَ ولدي عليّ عليه السلام فله كذا وكذا، ومَن زارَ قبرَ ولدي عليّ عليه السلام عند العرش فله كذا وكذا»[1]. أحسنت، يبدو هذا عجيبًا جدًّا بالنسبة للإنسان، أليس كذلك؟ من يزور قبر ولدي عليّ عليه السلام في غربته، يبيت عنده ليلة في مشهد هذه الجواد المطهّر المعظّم، فكأنّما زار الله تعالى في عرشه! فكم يبدو هذا عجيبًا للمرء!

نعم، هو عجيب! فكيف لعفلٍ أحدٌ هكذا عمل، ثمّ يأتي الله تعالى في مقام العرش، وهو عجيب! فكيف لمثلٍ أحدٌ هكذا عمل، ثمّ يأتي الله تعالى في مقام العرش، وليس في مقام الأسماء والصفات الظاهرية عالم الجزئيّات والتعيّنات الجزئيّة والشخصيّة؟! فمقام العرش يعني مقام المشيئة والإرادة؛ يعني أنّ الإنسان يصير هناك مجرًى لإرادة الله في إفاضة الفيوضات من ذلك المقام.

فأحيانًا، قد نجد أنّ هذا الكلام ليس مهمًّا؛ لأنّ الإمام الرضا عليه السلام هو عرش الرحمن بعينه، والإمام عليه السلام هو بنفسه مقام مشيئة الله، والإمام هو بنفسه مقام إرادة الله. وأحيانًا أخرى، قد ننظر لنرى كيف يُمكن الولوج إلى هذا المقام؛ فهذا هو الكلام المهمّ.

وهذا، تارةً تذهب وتنظر، لترى ما الفرق بين هذا الضريح والضريح السابق؟ فهذا نوعٌ من الزيارة، وحينئذٍ، من الأفضل ألّا تذهب إليها، وأعطِ مكانك لعبدٍ من عباد الله لديه حال، ولديه شيء؛ فلا تذهب لتأخذ مكان هذا وذاك. وتارةً أخرى، يكون الأمر مختلفًا، فتذهب إلى هناك من دون أن تلتفت إلى الضريح، ولا تنتبه إلى أنّهم غيّروه أم لا، حيث يكون عقلك في مكانٍ

[1]. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٤٣.

كريمضو كبلقءاديوسو كرّسو ،فـلتخمّلحمي فكنهذو ،رياغمضوعم ي فكركفو ،رخآ
!أيجيردتءامديشلصحيدق ،طقفذكاذنآف ؛رخآنٍاكمي فكتقيقحو

يذلا وهاذهف ،دّادحلاموحرملاوةمّلاعلاموحرملاللثمةزايرلزيلأحدأبهذيدق ،نكل
قيرطللاذهّنأىقبيل ،جأل .هبأّصتخمنوكيرملأاذهو ،هسفنبوهـ..هشرعي فالله روزي
ّنأكاذهىلإاولصيكلعيمجللّحوتفموهبلـ:[عايلولأايأ] ّصُخاّنأاوّنظتلاو ،ّحُوتفم
ٍءرقبةمأوسٍأكوأٍرقطُءاطعإو ؛هلحاسلاطيحمنعةرابعلا[مالسلاهيلعملاعلاماموأي]
!هتاذي فنونكموهفّدوجومو هاملّكنإف ،كلذقوفو ؛طيحملانمٌءيشصقنيلاذاذهل
!؟ّمتفتلاله

ةزايرللو ،مالسلاهيلعملاعلاماموأيّةزايرٍةذختامنيحو ؟راتخإ ،يلتلابو
لعلاءامظعأدحأهيفدجويٍنكامىلإبهذامدنعو ،ةّسدقملاتابتعاةزايرلزيلو ،ةصوصخلم
لّجسنلطقفيتأذلهف ؟هيلعنوكنأبجيذلاحالاوهام ،اللهءايلوأنمٌيلوأوءافرعلا
ىلإجلنو ،يتأذمأ!رملأىهتناو ،انزرو ،انبهذدقلأنسحلوقنو ؟دوعنّمثةقاطبانوضحم
مكدارم ،مالسلاهيلعملاعلاماموأنآلاةزايرلزيلنوتأنيذلامتنأفو ؟هيفوهذيلاماقملاس فن
اهيلعأتباثلظأةعيبكعيابُأ .كعيابُأتئجدقل ،اضرلاماموأيّهلا :اولوقتأنةزايرلزيلامهنم
...عيشلكوكيتناكميّتيصخشوكيتعمسنعأيّلختم ،ةيهانلاىّتح

وتعلمون أيضًا أنّ الإمام الرضا عليه السلام سيضع الأمر أمامنا بكلّ وضوح: تُريد أن تتخلّى عن سمعتك، حسن جدًّا، سيُنشرون مقالاً ضدّك، فلا ينبغي أن تتفوّه بأيّة كلمة؛ فإذا أردتَ أن تتخلّى عن ذلك فلا يجب أن تتكلّم بتاتًا. وعندما ترى أنّ هذا المقال الذي نشروه صحيح، لا تقل: «بما أنّه ضدّي، فإنّه عليّ أن أتحرّك، وأستعمل كلّ شيء ـ سواءً كان رطبًا أو يابسًا، أو كذبًا أو خداعًا أو حيلةً ـ لأهزم الطرف المقابل». وحينها، سيُصبِح هذا دخولاً [في ذلك المقام]، ويُصبِح هذا هو نفسه.. لماذا؟ لأنّك مطالب بالدفاع عن شرفك، وما هو الشرف هنا؟ هو اتّباع الحقّ؛ فهذا الذي يُقال له اتّباع للحقّ، ويُقال له شرف. لماذا استُشهِد الإمام الرضا عليه السلام؟ للدفاع عن هذا الشرف، والدفاع عن الحقّ، والدفاع عن الولاية. وأنت أيضًا مطالب بأن تتواجد هنا، وأن تكون في هذا المسير، وأن تقف في المكان الذي يجب عليك أن تقف فيه، وأن تتحرّك في الموضع الذي يجب عليك تتحرّك فيه.. هذه هي المسألة المهمّة.

لطابلا لهأةقرافمموزلـ

يا هشام، إن كنت تلميذًا لموسى بن جعفر، فحينما يأمرك عليه السلام بالدفاع، يجب أن تذهب وتُدافع، لكن، عندما يقول لك: لا تتكلّم، فلا يجب أن تذهب وتُدافع بعد الآن. وإذا ذهبتَ ودافعتَ، فأنت لم تعد تُدافع عن موسى بن جعفر عليه السلام، بل تُدافع عن نفسك، وعن ذاك الذي في داخلك، وعن تلك الحقيقة والواقعيّة المكنونة في نفسك والتي جعلتَها شرفًا، ولم تعُد تدافع عن موسى بن جعفر عليه السلام. حسنًا، موسى بن جعفر عليه السلام بنفسه يقول: «لا

تفعل». يقول [هشام]: «كلاّ! كيف يمكن ذلك؟! إنّهم يتكلّمون ضدّ الولاية، فهل أجلس صامتًا؟». حسنًا، عليك بالجلوس؛ فإذا كانت الولاية بنفسها جالسةٌ وتقول: «لا تتكلّم»، هل يصحّ لك أن تقول: «بل سأتكلّم»؟! وعليه، ما الذي تفعله أنت في هذه الحالة؟ أنت تُدافع عن نفسك، عن الأنا! عن هشام! عن هشام الذي يعرفه كلّ الناس، والذي رأته كلّ المحافل، والذي ناظر في كلّ مكان، وأفحم الجميع، حيث سيقولون: «انظروا إليه، لقد جلس صامتًا، وقعد من دون أن يتكلّم!». فحينما يرونه جالسًا لا يتحدّث، يزيدون في استفزازه؛ إذ ما إن يرى الطرف المقابل أنّه لا يوجد من يُجابهه، حتّى يشرع في الكلام؛ وهذا أيضًا يقول في نفسه: «آه، لو أمسكتُه بأسناني هذه، لمزّقتُه الآن وفعلتُ به كذا وكذا...»؛ فلم يعد يُطيق صبرًا، فيقول: «أيّها الفلانيّ الوقح، هذا كذا، وهذا كذا»؛ لكن، ما الذي حصل هنا؟! واويلاه، لقد خسرت.. خسرتَ القضيّة! هل التفتّم؟!

بالهذا على الرّد على دعوى لا مكعم ريصي يذلا نّأ «مُكَعَمَ مُكَعَمَهْ» نم دار املا نّإف ،اذهلو

أيضًا من كيملأ سلجم رضحا واذ ،مكعم سيلة نّأ حضّتيس ،بهذ اذإ ،يلاتلا بلو ؛كاذهو اذه ىلإ

.ملاسلا هيلع اضرلا ماملإلا يعيش اذ :كلذ دعب لوقلا هلّ قحي نلف ،ملاسلا هيلع اضرلا ماملإلا

رادقم بهنأ تنأ وأ !أقداصن كف ؛ةئملا نيعبسو ةبسنب كسفنلو ،ةئملا نيثلاثو ةبسنب هنأفّلاك

ماملإا بسح ةئملا يف ًاماملا ًةرشع تَعضو دقل .ةئملا نيّتس رادقم كسفنلو ،ةئملا نيعبرأ

نيعستو ةبسنب كسفنل كّنكل ،أبذك سيل ـ قّحب ـ وهو ،ُحيحصت اذه ،معن ،ملاسلا هيلع اضرلا

أن هيلع بلو ،وّدعلا ىلإ بهاذلا هيلع ينبغي لاف «مُكِوّدَعَ عَمَ لا» .ةبترم بسحب ٌّكل ..ةئملا

.هقرافُيو ،هذه دعتبي

في زمن المرحوم العلاّمة، ذهب شخصٌ ما ـ يعني أخذه أحدهم ـ إلى أحد المجالس، حيث إنّ أصحاب هذا المجلس الذين كانوا من طهران هم الآن من عداد المتوفّين، فجاء ذلك الشخص عند المرحوم العلاّمة ـ وكنتُ حاضرًا ـ وقال: «كنت أمشي مع فلان، ثمّ قال فلان: "الليلة هي ليلة كذا من الأسبوع، تعال لنذهب إلى مجلس فلان"، فذهبنا إلى هناك، وبالمناسبة، فإنّ السيّد فلان كان هناك أيضًا، وكان كلامه جيّدًا و...»، فبدأ العلاّمة يُصغي إليه، ويُصغي، فقلتُ في نفسي: «يا ويلي! يبدو أنّه الآن يُعدّ برنامجًا لهذا المسكين!». فقال المرحوم العلاّمة: «إذا ذهبت في المرّة القادمة إلى ذلك المجلس، فسأقطع علاقتي بك»، واشار بيده هكذا.. سأقطع!

فيكف ؛انريسملو انلة لباقلما ةهجلا يف فقيُلجر وهكاذهسُلجم هيدلي ذلا ذّيسلا كلذف

ملاكبه وّفتيه نّأب أعّرذتم ،كاذه ىلإ بهذتو ،موقتنأو ،انهجاوُيوهف ؟كاذه كمدقَتعضو

كحضيأدبو ،ءاجنإ امف!أذّيجأملاكنولوقيعيمجلاف ،بتكلا يف رظناو ،بهذا ،أنسح!ذّيج

؛رملأا اذه ةقيقحي هه هذه ،أنسح .مسُحدقه رمأ نّأ نّيبتي نّحت «ذّيج ملاكبه وّفتدقل» :لوقيوهو

كنانسأ تراصن ؟لصحي ذلا ام ،كلذلو «مُكِوّدَعَ عَمَ» تَفقوو ،نلآا تَبهذ دقل «مُكَعَمَ مُكَعَمَهْ»

صِخشدنع بهاذلا كنكمُيف يكف «ذّيج ملاكبه وّفتدقل» :لوقتو كحضتنأو ،قرهاظ

هو في مواجهة مع وليّ الله، وجالسُه معدودةٌ للسلب الناس من وليّ الله وإبعادهم عنه، بتصريح وليّ الله نفسه، ثمّ تأتي، وتُعبِّر عن ذلك بهذا الجنح؟! من الواضح أنّه أثّر فيك. هل انتضح الأمر؟!

ينبغي على المرء أن يكون ثابتاً وراسخاً في طريقه، وعليه أن يقوم بكلّ ما يُوصله إلى هدفه المنشود، وبيتعد عن كلّ ما يصدّه عنه. فإذا فعل ذلك، سيحظى بالتأييد على الدوام، فيأتي باستمرار، وينظر إلى العالم الماضي فيرى أنّ بعضه صار أفضل وأرسخ، وأنّه يستطيع الثبات على المسائل بشكلٍ أفضل، وبوسعه التعامل مع الأمور التي تواجهه بجنحٍ أرسخ.

وأمّا إذا كان الإنسان بالجنح الآخر، فإنّه يرى أنّ هؤلاء جيّدون، والآخرين أيضاً جيّدون، وأنّهم - على أيّ حال - لديهم ما يقولونه، وأنّهم - في نهاية المطاف - ليسوا على هذه الدرجة من السوء، فيبدأ في الانفصال تدريجيّاً؛ إذ لا يحدث هذا الأمر فجأةً.

بجِب من العليّ القدير - إن شاء تعالى - أن يُهيِّئ لنا ما يُوجِب ذوبان الثلج وانحراف عن طريق الأولياء وأئمّة الهدى عليهم السلام، وأن يجعل أنفاسنا وأقواتنا وثوابنا وفقاً لما يُوجِب الانزعاج والانحراف عن خالصاً على طريق تثبيت شرف العالم الوجود والإمكان، ونامو س الله: وليّ المطلق والحيّ.

اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ